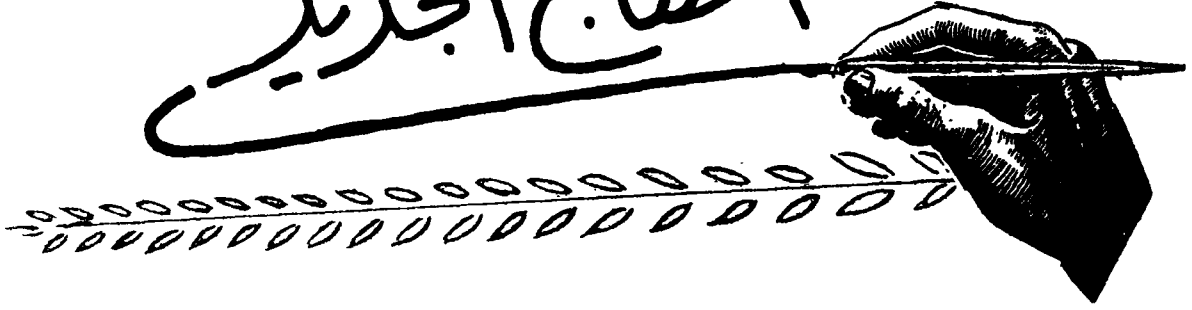


النتائج الجديدة



شمس النهار

مسرحية بقلم توفيق الحكيم

نشر توفيق الحكيم في جريدة الاهرام (1) مسرحية « شمس النهار » التي افتتح المسرح القومي بها موسمه الاخير . وهي تقع في ثلاثة فصول وخمسة مناظر .

وشمس النهار هي بنت السلطان نعمان التي رفضت ان تتزوج من يتقدم اليها الا بشرط ان يفتح الباب امام جميع الناس ، وتقوم باختيار من تراه اهلا لها من الخطاب .

ولا شك ان هذا الموقف جاء بمثابة احتجاج على الحياة في القصر التي تتضح لنا منذ رفع الستار . لقد بلغ الفساد في الدولة اوجه . فالوزير لا يعتمد على مرتبه الرسمي وحسب ، بل يأخذ كل ما يستطيع اخذه ، طلبة لحياة التمتع وسد احتياجات الاسرة . وهو ليس الوحيد ، فان الملكة برمتها من كبارها وصغارها تتخذ نفس الاسلوب .

الوزير - ... وانت يا مولاي الذي اردت ذلك .

السلطان - اردت ماذا ؟

الوزير - قلت : هذه هي الرتب الرسمية . وبعد ذلك كل واحد

وشطارته ...

فكان السلطان اس البلاد المنتشر في الملكة .

وقد كان هذا السلطان يعاني من مشكلة لا يجد لها حلا ، شغلت معظم الفصل الاول . هذه المشكلة هي ابنته شمس النهار التي لا يفرها في الزواج ، كاختيها من قبل وككل بنات السلاطين ، مال او جاه . لقد صممت على ان تقف في مواجهة هذا العالم الكاذب المقيم - كما وقفت انتيجون انوى مع الخلف - تصنع حياتها بنفسها حتى اضطر السلطان الى الرضوخ مرغما .

وكانت الاميرة تسال كل من تقدم اليها سؤالا واحدا يسيرا قررت انه لا يمكن ان تهب حياتها لاحد دون ان تعرف منه الاجابة عليه . هذا السؤال : « ماذا انت صانع بي اذا صرت زوجتك ؟ » . وكل من فشل في الاجابة يجلد ثلاث جلادات .

وما اجمل الردود التي فيلت لها واروعها ، ستعبد ، ويلبي كل طلباتها ، ويشاد لها قصر على عمد من المرجان في جزيرة واق السواق ، وتوضع في العينين وتحمي بالرموش . الخ فلم تكثر بشيء من هذا القبيل على الاطلاق ، ووقفت على الارض الصلبة ازاء الاحلام المحلقة ، مما اثار الظن بان الاميرة تعبت . والحقيقة انها جادة تماما في البحث والاكتشاف .

(1) الملحق الاسبوعي لجريدة الاهرام . اعداد : 18،11،44 سبتمبر

1964

ثم تجد بعينها في شخص حقير يدعى قمر الزمان ، لا يخطبر على البال انه سينال القبول . توفر فيه بعض نزوعات شمس النهار من اعطائها حريتها كاملة ومسئوليتها واثبات وجودها . وقد كونت موافقه معها الحدث الرئيس في المسرحية . رجل ذكي يقف هو الاخر على ارض الواقع الصلبة . شديد الشبه من نواح بشخصية « ابي الفضول » في مسرحية الفريد فرج « حلاق بغداد » التي عرضها المسرح القومي في الموسم الماضي .

الا ان ابا الفضول الذي ملا جنبات المسرح اشد جسامه من قمر الزمان (وشمس النهار) ، واشد وجدانا . وفي صراعه مع العالم الخارجي كان محتدما .

اما قمر الزمان فصورة جميلة لابن الشعب الجريء « الفهلوي » بكل كبريائه وطموحه ، الذي لا يحسن شيئا ويحسن كل شيء . لا يملك من الدنيا الا نفسه ، ولا يفره الجاه او الجمال او النفوذ . يؤمن باهمية ما يصنعه الانسان بيديه . يبدو لنا بسيطا في مظهره ولكنه ثري العماق ، سخي النفس ، يفيض بالحيوية .

لعل قمر الزمان ، في اقرب التفسير ، ان يكون نموذجا للرجل الاشتراكي ، وشمس النهار نموذجا للمرأة في المجتمع الجديد ، صاغهما توفيق الحكيم بقلم الفنان الملهم اكثر من قلم المفكر العميق الذي تصطرع شخصياته اثناء احتكاكها بالحياة وتصطمم الافكار فيما بينها .

لم يات قمر الزمان ككل الذين اتوا طمعا في الاميرة ، انما لكي يستخدم حقه المشروع . ومع اقتناعه بان الحاكم لا بد ان يخرج من المحكوم ، فانه يرفض - في حالة زواجه بالاميرة - ان يشتمل حاكما ، لانه لم يكن محكوما جيدا .

ولو اتنا عدنا الى « السلطان الحائر » لوجدنا ان نفس المشكلة طرحت على لسان الوزير (مكتبة الاداب ومطبعتها بالجمايز ص 5) وهي ان « العبد لا يجوز له ان يحكم شعبا حرا » .

ايماء صريحة في « شمس النهار » لعالة الشعب من جراء مظالم الاستعمار التركي والاوروبي ، وانتهاك الحكام حقوقه ، ومعيشة الشظف في الظلام - تدحض وقائع التاريخ رأي الحكيم فيها .

ان قمر الزمان يؤمن بان قيمة الانسان مرهونة بعمله ، لذلك فهو يوجه نفس السؤال الى شمس النهار : ماذا هي فاعلة به ان تزوجها لانه لا يعدو ان يكون حفنة من تراب ، يستطيع الصانع الماهر ان يصنع منه انسانا . باعتبار انه الان حفنة من تراب يرفض الزواج الى ان تتم له انسانيته اولا .

وليس ثم طريق الى تحقيق ذلك سوى ان تترك شمس النهار التي منحها الثقة قصرها خلف ظهرها ، وتخرج مثله الى الحياة ، تكتشف طريقها بسيف جندي بسيط وثيابه .

وتبدأ في الفصل الثاني رحلة شمس النهار مع قمر الزمان ، فلتقاهما في الغلاء على مقربة من نهر واشجار ، العالم حول شمس

لاول مرة جديد بهيج ، يتعاونان لتلا يكون احدهما عالسة على الاخر .
وخلال هذا المنظر ينثر توفيق الحكيم ، بشكل يقرب من المناظرة
المباشرة كثيرا من افكاره التي يمتليء بها الوقت الحاضر . ان مسرح
الحكيم كما هو معروف مسرح افكار في المحل الاول ، اكثر منه مسرح
حياة ، رغم انه لا يمكن انكار ان شخصياته التي تتنادى دائما بالحب
مجبولة من لحم ودم . وبسبب هذه الافكار تخلف قراءته تأثيرا عميقا .
من هذه الافكار ضرورة اشتغال المرأة بجوار الرجل التي تبنت
في اشتراكهما في اعداد الطعام ، وما اهتدت اليه شمس من ان السيف
البتار يمكن ان يستخدم في صيد السمك من النهر . اي تحويل اسلحة
الدمار الى ادوات مفيدة . وقدرة الانسان على التكيف مع الظروف
وتحويل العلم النظري الى عمل . وان ما يصنعه الانسان جزء منه .
ومسئولية الفرد الكاملة عن الغير . افكار تتبع آنا من الاحداث
نتلقاها تلقيا عذبا ، وتتوجه في آن اخر الى النظارة اكثر مما تتوجه
الى الشخص الاخر

وبينما هما على هذا الحال يقتررب شخصان ، فيسرعان بالاختفاء .
ومن مكنهما القريب يريان معهما صرة يربدان تخبئتها تحت الشجرة
لاقتسام ما بها . وبعد صبغهما يعرف قمر الزمان وشمس انهما
ملاحظ خزانة الملك حمدان ومساعده ، وانهما ليس الوحيدين فسي
دولة حمدان السارقين ، فكل واحد في هذه المدينة في يد الاخر بما
في ذلك الملك الذي يؤول اليه في النهاية كل شيء « جيوننا كلها في
يد الامير » ، مما يدفع بالحدث الدرامي الى الامام ويطوره ، ويبرز
ملامح شخصية شمس اوضح ما تكون ، وينكامل كيانها .
اصرت شمس النهار وقمر الزمان اما على رد المال الى الخزانية ،
والتستر على زلة المنهين (مقابلة الشر ببعض الخير - احسدى
افكار الحكيم) ، واما على تسليمها الى العدالة ، وبالطبع لا تجدي
اغراءات الملاحظ ومساعده لهما باقتسام الفتيمة لانهما نذرا نفسيهما
لاداء الواجب الذي ترى شمس ان ثبوته تكمن في الجواهر التي تحلي
دخيلة الانسان ، تشع وتضيء اذا استمع الى صوت الضمير او صوت
العقل .

بذلك يسوي الحكيم بين الاثنين ، الضمير او العقل ، في تحقيق
الحياة المثلي .
ويتالف الفصل الثالث من منظرين ، تدور احداث المنظر الاول
في قصر الامير حمدان الذي لا تختلف مملكته عن مملكة النعمان التي
تركنتها شمس ضائقة الصدر .
في هذه المملكة الجديدة نجد نفس الفساد ، بالإضافة الى مشكلة
السام التي يعانيها الامير من حياته الرتيبة : ما عاد يستطعم طعاما
او يبتهج لترفيه ، رغم كثرة ما لديه من الكنوز : « المال يملا خزائني »
والحياة قاسية بالنسبة لي ايضا . ان الامير ، وهو من هو ، يعاني
من الوحدة ، فقد كان لا يزال عزبا ، ولن يطلب زواجا الا شمس النهار
التي تناهى اليه اخبارها .
ولما كان غير واثق من قبولها ، راح يسائل تابعه في حيرة القلق
اي شيء يمكن ان يفري المرأة لينفذ به الى قلب هذه الاميرة العنيدة؟
وها هي شمس النهار تاتي على قدميها مع قمر الزمان وتقف
بنفسها على بعد ذراع منه ، في ثياب جندي مدمج بالسلاح وبأسسم
مستعار هو بدر ، كي يقرأ العدالة برد ماله المختلس . فقم يسفر هذا
اللقاء ؟
يقع بدر موقعا حسنا لدى الامير بسبب رجاحة عقله . لذلك
يعينه حارسا خاصا له ليفضي له بحقيقة الاميرة التي ادعى انه يعمل
عندها حارسا - الامر الذي يوقف في قمر الزمان طبيعة الانسان ،
برفيقته على نحو صوفي بريء ، وان عواطف الانسان لا يمكن قهرها
بحال .

اما المنظر الثاني فنرى الامير حمدان وقمر الزمان وشمس النهار
معا في الخلاء ، وقد اشدت التنافر بين الاولين بحيث لم يعد الواحد

عندئذ يكشف قمر لها عن حقيقته المرة . انه بلا انساب ينتمي
اليها ويفتخر بها .
قمر - (يلتفت اليها بعنف) اولا اسمي ليس بقمر . . . ولا قمر الزمان
. . . ولست بامير . ولا شيء على الاطلاق . ولا اعرف من هو ابي ، ولا
من هي امي . نشأت بين الناس في حي بسيط . الخ .
فماذا يكون وقع هذه الكلمات على الاميرة ؟ لا تزداد الا تعلقا به
وهياما ، وتمسكا برباط الزواج . غير انه يابى ان يستسلم للعاطفة ،
هو الاخر ، ويشردها معه طول حياته . يابى ان تهبط شمس من عليائها
الى الخفيض ، كانه بجمالين يستنكر نقص الحياة التي نبضت
في تمثاله الجميل جالاتيا على كمال المثال (نفس المعنى الذي يتردد
في كثير من اعمال الحكيم) ، ويوجهها برواقيته ، امام الاختيار الصعب
بين الواجب والعاطفة ، الى اصلاح بلدها .
شمس - وسعدتنا ؟
قمر - فلنفكر في سعادة الاخرين .
وهو احد الدروس التي سبق ان علم شمس النهار اياه ، ترد في
حوار مركز .

بهذه التضحية ينتصر قمر الزمان على نفسه ايضا . وتنتهي
المسرحية باستجابة شمس النهار الى صوت العقل لا القلب ، وايشار
الوطن على نفسها . (1)

ارادت شمس في البدء ان تمارس حياتها على نحو مفاير ، يكاد
يكون مثاليا من جهة تضاده مع البيمة وفي مضمونه ، فقابلتها قابلت
واصطدمت بالواقع - لم يكن الصدام عنيفا - ، وحين جابهت عالمها
سيئا في الداخل والخارج ، تقلبت عليه بفضل قمر الزمان ، ثم اتجهت
الى القصر ليتاح لها الاصلاح ، وان كنت ارى ان عودتها الى القصر ،
في هذه المسرحية ، دليل على انها لم تستطع ان تتحدى عالمها المحدد
بالزمان والمكان . ويمكن ان نرى نفس المعنى في افتراق قمر عنها
« انا لا استطيع الحياة في القصور » . وقد ظلت اطراف الصراع
الباطني اساسا في حالة تعادل .

وكما عاد « اهل الكهف » في هدوء الى ماوهم بعد ان انكسروا
الحياة والناس من حولهم ، تعود شمس النهار ايضا من محاولسة
التغلب على عالمها ، ولكن بوازع مختلف ، وفهم ارحب ، وارادة اكبر
من ذي قبل .

ويفترق البطلان الحبيبان : شمس النهار وقمر الزمان ، على
اتسامة حزينة ، يبقى اسماها عالقا بنفوسنا امدا طويلا لاننا احببناهما
معا من خلال معايشتنا لهما ، ومخالطة مشاعرهما النبيلة .

نبيل فرج

القاهرة

(1) اجرى توفيق الحكيم تفسيرا في النص المقدم للمسرح القومي .
وهو خارج عن حدود هذه المقالة .

البلد البعيد الذي تحب

قصص بقلم ديزي الامير

منشورات دار الاداب ، بيروت ، ١٤٤ ص

★★★

اول مجموعة تضم المنشورات الاولى لقاصة عراقية ظهرت حديثا على مسرح الادب ، تصدرها دار الاداب ، امر جدير بالفخر والاعجاب والاهتمام .

لذلك فان اسط ما يمكن ان يقدمه ناقد هو التقييم الموضوعي غير المسربل بالبخور ، ولست مخبرا اذا قلت ان القاصة الامير ذات قلم نابت بيشر بالخير ، بالرغم من المباشرة التي بررتها الاستاذة المقدمة سميرة عزام حيث قالت « حين تكون المباشرة فسي كل مرة اسلوب الفنان في مواجهة النموذج الفني بالعالم ، يغطي زعاق الذاتية على ابعاد الموضوع » .

وليست السردية المباشرة نقيصة او عارا ولكنها مرحلة نظال بان تتجاوزها قصصنا، لانها طريقة لا تحمل عنصر الجذب المتوتر بالنسبة للمؤثر « الكاتب » ، والمتأثر « القارئ » بل تحاول ان تجعله مرتاحا لايواكب عملية الخلق الفني والتطور الدرامي للحدث بانفعال متائر .

انك تلمس الانونة في كل اقاصيها ، تلمس انافة النساء وهو اجسهن الخاصة . الخوف والوحدة والرصد' الوؤوب الحلو الكتف للكلمات في « ضباب » ومشكلة العنس في « صلاة المائدة » و « شيء جديد » ، وكرياء المرأة الجريح وخوفها على زوجها في « قرع الطبول » ، والازياء - كامر تهيدي - في « العضلة بل العضلتان واعمال البيت الربية في « المرحلة الرابعة » ومشكلة السكرتيرة الازلية في « دفاء » و « قرع الطبول » ايضا .

ولكنك تلمس مسالتين هامتين تلقيان اهتماما من ديزي الامير ولهما تاثير كبير عليها ، اولاهما مشكلة الغربة التي نعيشها الان في لبنان ، وقد برز ذلك في « رسالة نلى جدتي » و « ضباب » ، وذكرياتها عن كليتها التي تخرجت فيها وهي دار المعلمين العالية سابقا وكليسة التربية ببغداد حاليا .

والحق ان قصة « حكاية ابريق الزيت » ومقالة ديزي الامير عن السياب في العدد الثاني من (اداب) هذه السنة، تلقيان اضواء كافية على حياتها في الكلية ، فيارغم من ان البطل الصغير سعدون قد برز كممثل لزعمة انسانية لدى البطلة - الكاتبة ، وكريزة للقصة ، لكننا نجد الكاتبة تنطلق لتصور حياتها في كلية التربية ببغداد ، حيث عاشت في وقت كان فيه السياب والبياتي من زملائها ، وكانت التربية نقطة انطلاق تاريخية لتيار الشعر الحديث في العراق على نحو ما يؤكد تفصيلا الاستاذ الناقد محمود العبطة في دراسته عن السياب التي صدرت حديثا .

ان ديزي تصور للقارئ الجامعة وابوابها موهمة اياه بوجود جامعة العراق تهيدا لبعثرة اشكال شخصوها وتكلم عن قصة حب من جانب واحد بين كريم وسميرة التي تعنفه امام الجميع ، وتحدث عن استاذها الضير وسكرتيه ، وعن شاعر الغزل الذي نظم في (غزة) و « واعدة » وغيرهما ، ثم عن غرفة الطالبات الخالدة في كليسة التربية حيث ترصد حركات زميلاتها .. ثم تنطلق بعد ذلك الى الواقع القريب تاركة هذه الذكريات ، فكريم اصبح « صاحب اوسع جريدة انتشارا » وهنا تبرز علامة استفهام ، اما شاعر الغزل « فقد اصبح شاعرا سياسيا بعد ان تزوجت عزة من عميد الجامعة ، فقد قرر شاعر الغزل ان يدخل معترك السياسة ليصلح الاوضاع الاجتماعية ويوزل الفوارق بين الطبقات » وليس الحديث هنا الا عن المرحوم الشاعر العظيم السياب ، فالمعروف انه قد اهتم بالسياسة على اثر فشله المتكرر في حبه لبعض زميلاته ، اما عزة هذه فامرها عجيب ، ان ان المعروف كذلك ان بدرا كان يحب شاعرة مثله فضلت ان تتزوج احد اقاربها لعدم وسامة المرحوم السياب اولا ، ولانها تختلف عنه دينيا

ثانيا ، ولم يكن لقبها هذا علاقة بالجامعة .

اما الاسناذ الاعمى فهو الدكتور محمد مهدي البصير استاذ الادب العربي سابقا في كلية التربية « قبل نقاعده » ، والسكرتير هو الاستاذ الصودي ... يكاد الحديث يمسى حديث مناقشات لوقائع تاريخية ، ولكن قصة الادية الامير تضطرنا الى ذلك وان كنا نلومها للاسلوب التقريري الذي اتبعته .

ماذا يبقى بعد هذا ؟ تبقى قصتان من اجمل ما ضمت المجموعة اولاهما « صلاة المائدة » التي ترصد الام فيها فوات قطار الحياة الزوجية عند فتاة عانس ، وان كانت تفسيرات الكاتبة في النهاية قد جعلت القارئ يريج دماغه من التفكير ، وثانيتهما قصة « ضباب » التي يتجلى فيها معنى الغربة وبراعة رصد الخوف من التوحد عند الكاتبة .

ولا بد ان نلاحظ هنبا ان الكاتبة قسدت تميزت بابتعاد يكاد يكون مقصودا عن المشاكل السياسية وان كانت هناك اشارة اليها في قصة « العضلة بل العضلتان » ، حيث صورت لنا في نهايتها فتاة تدخل المعترك السياسي لان حبيبها قد فعل ذلك ، ولست اريد ان اعلق على ذلك ولكن القول ان هذه الاشارة - لانها الوحيدة - تحمل دلالة راي القاصة - على ما يبدو - في دخول المرأة الحياة السياسية العامة .

وبعد فهل قلت كل ما اريد عن « البلد البعيد الذي تحب » ؟ . اشعر بـ « لا » تنتفض في خاطري ؛ ولكنني استطيع القول في الختام ان ديزي الامير تعد كشافا جديدا في عالم القصة ، نرحب بها ونرجو لها انتعاشا اكثر وفرصا اطيب لبروز كل امكانياتها .

الغدارة - العراق
باسم عبد الحميد حمودي



دنيا الله

مجموعة قصص لنجيب محفوظ

في « دنيا الله » يرافق القارئ نجيب محفوظ وهو يكشف عما يراه فيها . وليس افيد ولا امتع من صعبة انسان دانث البحث عن الحقيقة ملتزم السر في الطريق . وان تجاوزنا المنعة الفردية في هذه الصعبة فان اهم اثارها هي في كونها مساهمة فعالة في تشييد بنساء حضارتنا الجديدة في هذا العصر الذي نعيشه نحن ابناء هذا الجيل مع انبعث امتنا . فالاديب الصادق الملتزم له دور كبير في عملية البناء بما يكشف من حقائق ويطلق من طاقات ويوجه الى الصراط . وتفاعل القارئ مع الاديبي هي بداية الانطلاق .

خلق الله الدنيا ، وجعل فيها الانسان خليفة له . فبرز ما فسي « دنيا الله » هو الانسان اعظم مخلوق في الوجود . والانسان هو موضوع نجيب محفوظ ، واديبنا يقدره حق قدره ويفهمه احسن الفهم ، ومن قلب يفتح بمحبة هذا المخلوق ، وفكر يعمل من اجل اسعاده يجري ادب محفوظ ليفيض بالخير .

ومنذ ان وجد الانسان في « دنيا الله » مزودا بالعقل والقلب واللسان ثارت امامه قضايا عدة . فمن ناحية بحث عن مكانه في هذا الكون الشاسع ، وعندما عرف الموت والبلاد والقتل والقضاء طفق يسأل باحثا عن اسرارها . وهكذا انطلقت اسئلته الخالدة ، من اين ، والسى اين ، ولماذا ؟؟؟ ومن ناحية اخرى عاش هذا الانسان في جماعة فاتصل بمن حوله ومر في تجارب علمته ان عبيدا من المشاكل تظهر في المجتمعات لتغيب الانسان ، فشرع يبحث عن اسبابها ويحاول وضع حلول لها . ومن ناحية ثالثة نظر الى نفسه وتامل افعاله بعد ان شعر بضرورة ذلك، وراقب نفوس الاخرين فلاحظ ما تزخر به النفس من عواطف وما تقوم عليه من

ركائز ، ورأى أثر ذلك كله في سير الحياة ، فبدأ يحاول الفوص السى اعماق النفس البشرية باحثا عن حقيقتها .

هذه الجوانب الثلاثة شغلت انسان « دنيا الله » منذ الازل . ومع محاولات البحث المتتابعة تتابع الايام ظهرت اجابات عن الاسئلة وحلول للمشاكل ، فكان الدين وكانت الفلسفة والنظم . وعلى الرغم من تكرر السؤال والجواب فان المحاولات مستمرة وستبقى ما بقي الانسان . ودور الباحث ان يحاول في حدود عاله ووقته ، ويعرض ما وصل اليه في الاطار الذي يختاره .

وقد اختار نجيب محفوظ القصة كاطار يضمه تساؤلاته واجاباته ، وقدم لنا في « دنيا الله » اربع عشرة قصة قصيرة يجمعها انها تتناول الانسان في المجالات الثلاثة . ولا شك في انه كان موفقا جدا في تسمية المجموعة « دنيا الله » لان القصة الاولى تحمل هذا الاسم وانما لانه يصلح للمجموعة باعتبارها وحدة . ووحدة المجموعة يشعر بها القارئ حتى انه يخال كل قصة فيها فصلا يتكامل مع الذي يليه .

وقبل ان نتحدث عن مضمون هذه القصص نعرض بالحديث عن اسلوب محفوظ فيها . وخصوصا وان عرض الاسلوب يساعدنا على فهم المضمون .

اول ما يلاحظ على قصص المجموعة - وعلى ادب محفوظ عامة - ان لها ظاهرا وباطنا - ان صح هذا التعبير - . فالرمز يكثر فيها ، بحيث ان القارئ يصل الى فهم معين لها اذا اقتصر على معناها الظاهري ثم يلاحظ انه اذا حاول التعمق متجاوزا اسطح الكلمات ظهر له عالم الباطن الرحيب المخفي وراء الرمز . وبالطبع تختلف نسبة الظاهر والباطن في كل قصة ، فبعضها لا يمكن تحميل معناه الظاهري اي رمز او تفسير ، وبعضها يسر الظاهر والباطن فيه جنباً الى جنب ، وبعضها لا يمكن فهمه اذا اقتصرنا على ظاهره لان الرمز هو مفتاح القصة فيه . وتتضمن هذه المجموعة اكثر من قصة من هذا النوع الاخر ، وبرزها « زعيلاوي » و « ضد مجهول » و « حادثة » . اما النوع الثاني فنراه في « زينة » و « صورة قديمة » و « حنظل والعسكري » . ومن النوع الاول « دنيا الله » و « جوار الله » .

وقد لجأ ادبنا في معالجة مواضيع قصصه الى عدة طرق ، حتى لا يكاد القارئ يجد قصة تماثل اخرى في طريقة معالجتها . وفيها جميعها دلت محفوظ على مقدرة نادرة في كتابة القصة القصيرة وفي اختيار الاطار الملائم للفكرة . وبعض هذه الطرق تستحق الدراسة لجدتها وروعيتها وتكتفي هنا بعرض سريع لها .

ففي قصة « الجامع في الدرب » استعمل محفوظ طريقة خاصة يمكن ان نطلق عليها اسم « طريقة المقابلة » ، وهو يعتمد فيها السى عرض مجموعتين من اللوحات ، تتصل كل واحدة منها بموضوع وبينهما صلة ما ، ويتم الانتقال من لوحة في المجموعة الاولى الى لوحة في المجموعة الثانية وبالعكس حتى يكمل العرض بلوحة مشتركة تكون خاتمة القصة . وهذه الطريقة نراها كثيرا في « السينما » حيث يتبعها كثير من المخرجين (1) . وقصة « الجامع في الدرب » تقوم على المقابلة بين امام الجامع وسكان درب بائعات الهوى ، وتنتهي بلوحة تجمع الطرفين .

وفي قصة « الجبار » نجد طريقة اخرى متميزة يمكن ان نطلق عليها اسم « البدء بالنهاية » ، فتبدأ القصة بمشهد هو خاتمتها ايضا ثم تعود الى عرض مشاهد سبقت حتى يتم الوصول الى النهاية . وهذه الطريقة متبعة في الاخراج السينمائي ايضا (2) .

(1) كان يأخذ المخرج لقطه لشباب منتش في مشيته يحاول لفت النظر اليه ثم يتبعها بلقطه اخرى يكون فيها طاووس يتبختر بين اناته . ومن اكثر المخرجين استخداما لهذه الطريقة في السينما المصرية صلاح ابو سيف . ولو ان نجيب محفوظ لم يقتصر في استخدامه لها في هذه القصة على لوحة او لوحتين وانما على مداها .

(2) انتشر استخدامها في افلام الاربعمينات ، وقد يكون لها عنده السينمائيين اصطلاح خاص .

وفي قصة « زينة » لجأ الكاتب الى طريقة ثالثة عرض فيها ثلاث قصص لا يربط بينها الاوحدة المأساة ووحدة الموضوع بين ابطالها . وعهد الى بدء القصة بلوحة تجمهم كلهم ثم يتفرقون ليعرض كل قصة على حدة (1) .

اما في قصة « موعد » فيعتمد الكاتب الى عرض حال البطل من الخارج كما تراه عين زوجته المحبة . ثم بعد ان يبلغ التشويق درجة عظيمة ينتقل الكاتب الى اطلاق القارئ على الحوار الداخلي في نفس البطل فيكشف عن جوانب من السر ثم يختم القصة بحوار بين البطل واخيه . وهكذا تتعدد الطرق لتناسب كل واحدة فكرة القصة والفرض منها .

وفي جميعها يتميز اسلوب محفوظ بالاصالة والروعة . وناتي الى المضمون فنشعر بالحرية بين ان ندرس كل قصة بمفردها وان ندرس المجموعة ككل باعتبارها وحدة ؟ ولعل افضل سبيل هو دراستها باعتبارها وحدة مع ملاحظة ما تفرده به كل قصة من قضايا .

اول الجوانب الثلاثة في « دنيا الله » هو الانسان في الكون . وهذا الكون العجيب الكبير يثير قضايا الوجود . ولعل من ابرز القضايا التي تشغل الانسان مسألة الموت . فالوقت لغز يحتاج الى حل ، وهو بالنسبة لاناس كثيرين شبح يؤرقهم ويخيفهم ، وبالنسبة للجميع مصر ونهاية . وقد يظل الانسان في غمرة اقباله على الحياة عن الموت ولكنه لا بد عائد لمجاهته بالتفكير فيه اولا ثم بمآلانه .

كيف يحدث الموت ؟ وكيف يتم الانتقال اليه ؟ يقف محفوظ اكثر من مرة في مجموعته ليصف الموت كحدث . فعلى لسان الحاج مصطفى في قصة « جوار الله » يجيب عن التساؤل كيف حدث ؟ بقوله « كما يحدث عادة ، لا غريب في الامر ، سعلت قليلا ، وبدأ انها تحاول ان تتكلم ، ثم شهقت شهقة خفيفة ، وخرج السر الالهي » (2) وموت المجهوز في هذه القصة كان متوقفا بعد ان طال احتضارها على الفراش . ولكن الموت قد يأتي فجأة كما في قصة « حادثة » حيث يعبر رجل الشارع والحياة تنتعش فيه . وقبل ان يصف محفوظ الموت يدع في وصف الحياة « وكان في الستين او نحوها ، طويل القامة نحيلها ، كسروي الجبهة والعينين ، مكور الذقن ، واما صلته فلم يبق فوق مراتبها الا جنود شعر ابيض مثل منابت شعر ذقنه ، .. كان يتمتع بحيوية مرحة ، وتلتمع عيناه بنشاط وابتهاج ، فاشعل سيجارة واخذ نفسا عميقا .. »

(3) وتصدمه سيارة وهو يحاول تجنب اخرى فتبدأ حادثة الموت « نددت عن الرجل صرخة كالعواء ، وفي ذات الوقت انطلقت صرخات الفرع من المارة والواقفين على الطوار وفوق افرز محطة الترام . ورئي الرجل وهو يرتفع في الفضاء امتارا ثم يهوي فوق الارض كشيء غير ادبي .. ولم ينبض جسم الرجل بحركة واحدة ، وكان منكفئا على وجهه ولا يجرؤ احد على لمسه ، واحدى رجليه ممدودة الى اخرها ، والاخرى مثنية منحسرة البنطلون عن ساق نحيلة فزيرة الشعر وقد فقدت فردة حذائها ، وتفشاه صمت بخلاف كل شيء حوله كان الامر لا يمينه البتة » (4) .

« وند عن المصاب صوت كالتفير المكتوم ، وتحرك حركة شاملة مباغتة ، ثانية واحدة ، ثم غرق في اللامبالاة » وينتهي احتضاره في المستشفى « فقد تحرك الرجل حركة شاملة كالرعدة ، واضطرب صدره اضطرابا متلاحقا محترجا ، ثم شهق شهقة خفيفة واستكن . » (5) . وقد جاء الموت لاجد شخص قصة « قاتل » ايضا فجأة بطعنة سكين « لا مهادنة فيها ولا أمل ، نددت عن الرجل صرخة خافتة وترنح جسده الضخم مرة ثم سقط » (6) . وكذلك في قصة « موعد » حيث قتل آخر بصدمة سيارة . ان نجيب محفوظ يبلغ في معالجته قضية الحياة والموت اعلى الدررى التي وصل اليها الانسان .. ويمثل في افكاره خلاصة ما جاء

(1) وهذه الطريقة ايضا استعملت في السينما . ومن الواضح ان ادبنا الكبير قد اطلع على هذه الطرق اثناء اتصاله بالمثل السينمائي وكالكاتب سيناريو لعدد من الافلام .

(2) ص ٥٣ (3) ص ٢٠٦

(4) ص ٢٠٧ (5) ص ٢١٢ (6) ص ٢١٢

في تراث أمته التي حلت رسالات الأديان إلى بني البشر . ويلاحظ أنه يرمز لكل الأعمال الصالحة التي تحيل صحراء الحياة واحة بكلمتين اثنتين هما « باسم الله » ، بينما نراه يعدد الأدواء التي تحكم على إنسان دنيا الله بالموت .

وترتبط بالموت الذي هو حق على كل إنسان مسألة القضاء والقدر وعاريفهما . ويرز القضا والقدر في قصص نجيب محفوظ في محاولته لاستجلاء أسرارهما . ففي قصة « موعذ » نجد جمعة إنسانا يترقب الموت بعد أن عرف من الأطباء أن أيامه الباقية معدودة . فترى زوجته في حوار داخلي رائع تصف التبدل الذي طرأ عليه دون أن تدري سره الحقيقي ، ونراه هو قد أجبل على قراءة كتب الأرواح . وهو الذي لم يكن يهوى العزاة . وفي حوار مع نفسه تتكشف لنا أدق خلجات النفس البشرية وهي تترقب النهاية . فكلما فكر في أيامه الباقية ود لو يأخذ من الحياة كل شيء ولكنه يرتد لأنه أيضا لا يستطيع طلب شيء « وهنا يستوي كل شيء ولا شيء » . ويلجأ للشرب والمطالعة كتب الأرواح ، سعيا وراء طمأنينة ولو تكن وهمية ، وسلام ولو على غير أساس . حتى إيمانه الراسخ أنهزم أمام الموت (1) . ويذهب جمعة لآخيه يلاقيه في قوة ماتانيا ليكشف له سره ويعهد إليه بزوجه وأبنته . وبعد حوار يفرفران ويستقل جمعة سيارة دارت به دورتها ثم اضطرت إلى التوقف أمام زحام تجمهر حول حادثة وقعت فتفادى الأوتوبيس الزحام ولم يدر جمعة أن ضحية الحادث هو أخوه الذي كان يجلس معه في القهوة . ماذا يريد محفوظ أن يقول لنا وهو يمرض عجائب القدر أو ضحكاته أو مآسيه - ويختلف التعبير بحسب النظرة إليه - لا لقد حاول الإنسان هنا أن يجابه الموت الذي يترقبه ولكن القدر كان يخبئه له مفاجأة جديدة . وقبل أن نحاول تلمس جواب عن السؤال يحسن أن نرى صورة أخرى للقدر .

ففي قصة حادثة تصدم سيارة رجلا في الستين ، وفي عملية البحث عن شخصيته لا يجد الضابط بطاقة تحقيق الشخصية ولكنه يعثر على رسالة لم تغلف بعد « فامل أن يصادف فيها ما يمكن أن يستدل به على شخصية الرجل . نظر إلى الأَمْضاء ولكنها لم تزد عن « أخوك عبد الله » - واختيار اسم عبد الله دلالة فكل إنسان في دنيا الله هو عبد الله - فهاد إلى رأس النصفحة ولكن الرسالة كانت موجهة إلى « أخي العزيز - ادامة الله » (2) ويقرأ الرسالة فيجد أنها تبدأ بقوله « اليوم تحقق أكبر أمل لي في الحياة » وقد كتبت في نفس اليوم الذي صدمته فيه السيارة وقتلته . ولم يملك الضابط نفسه من الغاء نظرة على « الوجه الباهت المشوب بزرقة مخيفة ، الملق كسر ، الجامد كتمثال ذلك الذي تحقق أكبر أمل له في الحياة » . وتعصي الرسالة تتحدث عن أنه « قد انزاحت عن صدري الأعباء المريعة .. وبعد تفكير قر رأيي على تسرك الخدمة .. أما الآن فكل شيء بخير وليس في الإمكان خير مما كان » (3) . فهل هذا هو عيب لاقدار تلعب بنسا وتضحك ؟ إن قدر الإنسان في مسألة الموت لا يمكن أن يقاوم ولا يرد « فإذا جاء القدر ذهب الجندر » « ولا تدري نفس ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس بأي أرض تموت » .

إن نجيب محفوظ لا يعطي جوابا مباشرا عن السؤال ، ولكن من الممكن أن نستوحي من قصصه أن الإنسان عاجز عن معرفة الغيب وما خط فيه من قدر ، ولعجزه هذا فإنه لا يستطيع مجابهة القدر . فلا يبقى أمامه إذن كي لا يؤرق نفسه ويمزقها بالآوهام والخيالات إلا أن يطمئن لرأس القدر ما دام يؤمن بأن الله خالق الإنسان هو الخير المطلق . ولا يعني هذا الإيمان بالقدر في مسألة الموت والتسليم له ، تسليم الإنسان أمام ما يحكم حياته من ظروف اجتماعية . لا .. لأن الإنسان قادر على تغيير مجتمعه ولكنه غير قادر على الفرار من قدر الموت . وعليه فإن الدعوة إلى الإيمان بالقدر ليست هروبا ولا سلبية وإنما هي انتصار الإنسان على مخاوفه واعتراف الإنسان بحدود إمكاناته مما يمكنه من العيش براحة واطمئنان .

وليس مشكلات الكون وحدها هي التي تؤرق الإنسان وتحرره، فإن هناك مشكلات مجتمعه وعاله . وهي تبدو كثيرة لا تكاد تنتهي وكانما كتب على الإنسان أن يعاني وأن يستمر في البحث عن حل .

هذه المشكلات في أصلها ناجمة عن اختلال التوازن في الإنسان والمجتمع والعالم مما سبب حدوث انحرافات وأمراضا فتتك بالإنسان . ويبدو نجيب محفوظ في عرض هذه الانحرافات والأمراض وكشف دقائقها بشكل يجعل القارئ على وعي كامل بها . كما يحرص كاتبنا أيضا على توجيه القارئ إلى استنكارها ومحاربتها في محاولة منه للإصلاح . وهذا هو الالتزام في الأدب ويبدو محفوظ في قصصه التي تتناول المجتمع والعالم توريا كاشد ما تكون النورية وفيلسوفيا يعلم بالإصلاح الاجتماعي ويدعو إليه آملا في أن تتحقق الصور التي رسمها له في فكره .

ونلاحظ عند قراءة قصص نجيب محفوظ أن الشعور الذي يبقى في نفس القارئ بعد رؤية الانحراف مزيج من الإشمئزاز والانحراف والاسى ، على الإنسان . ويشهد الشعور بالاسى عندما يحس القارئ أن المجتمع فرض الانحراف وأن الإنسان لم يستطع الهرب من مصيره المظلم . وهكذا تشتد في بعض القصص كقاتل والجار قبضة الفساد الاجتماعي فتسحق الإنسان ، بينما تبدو في قصص أخرى وكان الإنسان ساهم فيها باستسلامه لها وانضمامه لقوتها كما في قصة زينة (1) . ولئن اقتصر محفوظ في هذه القصص الثلاث على عرض المظاهر والإشارة للأسباب فإنه في قصة حنظل والعسكري تجاوز ذلك إلى عرض تفصيلي لطريق الإصلاح في شكل حلم طوياني رائع . وعلى كل حال فإن عرض المظاهر والإشارة للأسباب كاف لدفع القارئ إلى استنكار هذا الفساد الاجتماعي والعمل لإصلاحه وهنا نتجلى قيمة أدب محفوظ وثورته .

مظاهر الفساد كثيرة نراها في صور عدة . صورة الصحفي الذي يبيع قلمه لشركة أدوية تريد اللب على الناس . صورة الفتاة التي تباع نفسها لمدير شركة عجوز . صورة القصصي الذي يبيع أدبه لعصابة إنتاج سينمائي . والصور الثلاث في قصة « زينة » . ثم صورة الإنسان الذي يبيع خنجره لعصابة ويفدو قاتلا كما قال في قصة « قاتل » . فاذا أضفنا إليها صورة البغي تباع جسدها والإمام يبيع ضميره ولسانه في قصة « الجامع في الدرب » ، نلاحظ أن العامل الاقتصادي مشترك في جميع هذه الانحرافات . ولا شك في أن لهذا العامل أثر قوي في المجتمع خصوصا إذا اختلت مقاييسه وبنات السلطة فيه للقوة الاقتصادية . وعند ذلك وكرد فعل لسيطرة المادة تسخ نماذج بشرية كثيرة وهي تقبل على التملك باذلة في سبيله كل قيمها الإنسانية .

ويجب أن نلاحظ أن جميع النماذج التي يعرضها محفوظ موجودة في مجتمعا الذي سادت فيه - ولا تزال في أكثر قطاعاته - النفسية الرأسمالية بحيث أصبح مثله الأعلى رأسماليا وديست القيم أو مسخت تبعا لهذا المثل الأعلى . ونجيب محفوظ يدعو إلى مجتمع تزول فيه سيطرة رأس المال وتعود فيه القيم إلى إشرافها لتحكم سلوك بني البشر وتوجههم فتسندهم .

وقد شعر محفوظ بخطورة سيطرة المال فاطلق صيحته على لسان القصصي في قصة زينة قائلا « اني اود ان اكتب عن المال باعتباره غولا مخيفا يلتهم القيم الجميلة بلارحمة كالخلق والجمال والروح » . وفي « زينة » يقابلنا نموذج محمد بدران الصحفي ، وسرعان ما نلاحظ مثله الأعلى عند دخوله غرفة مدير الشركة وملاحظته تكييف الهواء فيها « وسرعان ما وعد نفسه بتكريب جهاز تكييف في حجرة مكتبه حالما تتحسن الاحوال عما قريب ان شاء الله .. وكالمادة انثالت على ذهنه احلام التراء بلا تحفظ فأكملت ما ينقص حياته من الرفاهية ، شقة جديدة في حي راق بعيدا عن روض الفرج طبعاً . اثاث فاخر ، مطبخ امريكاني ، بار امريكاني ايضا، سخان ، فريجيدير كبير ، سيارة ، شقة دائمة بالاسكندرية للتصيف ولعطلات المواسم في بقية الفصول : ولسبب ما خطرت بباله الفتاة الجميلة التي رآها في مدخل العمارة امسام

المصعد . ما اجمل ان « يملك » الانسان صديقة مثلها . . » ولتقف عند تعبير « يملك » الذي اصبح المثل الاعلى . وفي سبيل هذه الملكية باع محمد بدران قلعه ، ومع توالي عملية البيع لم يبق من المثل السليمة شيء . لذلك نراه عندما خرج وفي جيبه المال متوجها للمجلة « لم يكن في ذهنه الا المشكلات الخاصة بالمجلة التي عليه ان يعطها قبيل هبوط الليل . في زمن بعيد نسبيا كان يفكر طويلا بعد تناول مثل هذا المظروف ، على الاقل كان يقارن بدهشة بين حاله حين تخرجه في الجامعة والتحافه بالعمل مخمورا بأسمى الامال ، وبين حاله التي صار اليها حين لم يعد لشيء قيمة الا السيارة وجهاز التكييف وتعليم الاولاد فسي الكلية الاميركية . » ولا شك في ان الاشارة للكلية الاميركية هنا بالفرة الروعة فهي تربط المثل الاعلى المادي بالنظام الرأسمالي الذي تمثله امركا . وتنتشر مثل هذه الاشارات في قصص محفوظ ولا يتسع المجال لسردها وتبين روعة فنه .

ثم نلتقي بزئب التي اقدمت على بيع نفسها للمدير بدفع من امها ، فنلمس تماسها وتجاذبها بين الاستقامة والسقوط ، ذلك لانها في اول الطريق ، ومثلها شعر محمد بدران عندما اخذ المظروف اول مرة . « وكانت رغم مطاوعة الامور تجد قلقا واحساسا كأنه التفرز ، لكنها ابتمت الى عينيه الكلكتين بجاحين اشبيين ، عينيه الحادثين رغم الكبر ، وقاومت النفور المستقر في شعورها والذي جاء معها من الطريق ، بل من البيت ، رغم محاولتها القوية في مفايته بالاحلام الخيالية المتألقة كالناس . » وكانت قد فسخت خطبتها لقريب بسبب اغراء المال وخوفا من ان ينكشف شيء في ماضيها . ويتحدث المدير بنبرة منتهجة بلسان المال « ان تندمي على ما فات امك حكيمة وانت كذلك ان متاعب الحياة لا تفض كما يزعم الحقى في الصحف ، ولكنها تفض بالارادة الحية ، ارادة شخص ذكي مثلك . » وهو لسان الانسان الذي اكمل بيع نفسه للمال . اما ماذا يزعم الحقى في الصحف في عند مثله « احاديث كالف ليلة وليلة عن اصلاح المجتمع والكون . » ويميتها بشيء ملموس « ستكون متع الدنيا بين يديك ! صدقيني ان المال هو سر بهجة الحياة . . » .

ثم نلتقي بالاستاذ ودعب القصصي يدخل مقر عصابة الانتعاج السينمائي . ونلمس تمزقه . وهو يرى عملية مسخ وتشويه قصته . وكذاب الانسان عندما يقهره الشر يتساءل من خلال تهدة لم تسمع « عن ذلك الركن من الدنيا الذي تجري فيه الامور على طبيعتها وتطلق الطيور مفردة بلا خوف ولا جهل ولا طغيان ، ولم يداخله شك في انه سيجد هناك الفتاة الجميلة التي عايشت خياله حتى اتملته . » ويجتمع افراد العصابة المخرج والوزع والمنتج والمثلة وجميعهم يمثلون النماذج المنحرفة التي تعيش في الفساد الاجتماعي وتتخذ مثلا اعلى ماديا هو المال وما ينتج عنه من لذائذ حسية ويتساءل ودعب « متى تنقوض سيطرة الطفافة . متى يمكن ان يفكر محمد طنطاوي (المخرج) كإنسان ؟ متى يحل فسي رأس مسيو نذرائيلي (الموزع اليهودي) شيء غير الارقام والنقود ؟ متى تقلع عواطف زهدي عن العادات المتأصلة التي اكتسبتها في بيت الهوى الذي انتشلت منه الى عالم الفن ؟ متى يكف مجدي السيد عن انتعاج الافلام كعربون لعشق جديد ؟ متى نقف هذه العوامل كلها عن التدخل في فبركة القمص ؟ » ويعيش القارئ عملية تحضير فيلم سيكون وباء على الجمهور ، ويتألم لماناة ودعب الذي لا يكف لحظة عن التمزق اللهم الا عندما يقدم له « الشيك » المخدر « فتناوله وهو يستشعر اول نسمة باردة في هذه الجلسة الجهنمية . » ويطلب المخرج منه قصة اخرى « عذاب جديد في سبيل رزق جديد ، كم يسره هذا الطلب وكم يحزنه . » لذلك يفكر بكتابة قصة « عن المال باعتباره غولا مخيفا يلتهم القيسم الجميلة . . » ويبلغ انحراف المخرج حدا يجعله يرحب بهذه الفكرة ليشارك بها في جائزة وزارة الثقافة .

هذه القصة لها اهميتها الكبيرة ، فهي تعالج واقعا قائما في المجتمع العربي الذي يتطلع الى بناء المجتمع المتكافل الذي تسود فيه الكفاية والعدل . وهي صرخة قوية تنبه افراد المجتمع والمسؤولين فيه عن مواطن الداء . ويخرج القارئ منها وقد استشعر خطورة رأس المال في احداث

الانحراف ، وبقدر ما يركز محفوظ على تصوير المال بانه سبب كسل سعادة - في نظر المنحرفين - بقدر ما يخرج القارئ من احداث القصة باحتقار وتورة على هذا القول المتسلط . وقد عالجت القصة قطاعات كبيرة في مجتمعنا المتطور . فالصحافة في مجتمع الكفاية والعدل لها دور كبير وتضم قطاعا كبيرا ويجب تخليصها من الانحراف . والعاملات اصبح لهن مجال واسع ويجب حمايتهن من الاستغلال . والسينما لها اهميتها وسيطرتها على الجمهور ويجب ان ينقذ الشعب من إخطارها الناجمة عن استغلال المنحرفين لها . وان اول خطوة في طريق اصلاح هي في ابراز المثل الاعلى الحقيقي لمجتمع الكفاية والعدل وتحطيم هذا المثل الاعلى المنحط المتمثل بالمال . ولقد وفق محفوظ في تسمية القصة « زينة » التي قد يظن انها تصغير لزئب بظلة اللوحة الثانية في القصة ، ولكننا نرى ان الاسم حمل توجيها ورمز للمال واستمده ادبنا من الايسة الكريمة « المال والبئون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا » .

ما مدى مسؤولية هؤلاء الافراد في انحرافهم ؟ يبرز هذا السؤال عند التفكير بالوضع والظروف . والبيئة بهم ، ونجيب محفوظ يركز على دور المجتمع في دفعهم الى الانحراف تماما كما ساد في مجتمعنا ان امثالهم ضحية الفساد الاجتماعي . ويبدو احيانا ان قدر المجتمع قوي كقدر الموت بحيث لا يمكن الفرار منه . ومع ذلك فنحن نعتقد ان المسؤولية الفردية قائمة دوما فانسانية الانسان تفرض عليه الا يستسلم بسهولة وان يبحث عن الهواء النظيف ليتنفس منه وان يتكاتف مع اخوته السائرين في طريق الخير ليجابوا الضغط الاجتماعي المنحرف ويعملوا على تغيير واقعه .

وفي قصة « قاتل » (1) نرى قوة « قد والمجتمع » تدوس الانسان وترسم طريقه وتحدهمصره . ويظهر فيها اثر العامل الاقتصادي مرة اخرى ، كما يظهر فيها اثر عدم وجود التكافل الاجتماعي في القضاء على اخر ذرة صلاح في النفس الانسانية .

ولكن هل يمكن الفرار من قدر المجتمع المنحرف ؟ ان الفرار ضروري لانقاذ الانسان ، ولا يتأتى الا بالعمل على تغيير قيم المجتمع ومثله او بتغيير اخر اصلاحه . ونجيب محفوظ يحلم بمجتمع تحكمه القيم والمثل السليمة ويعيش فيه الانسان بسلام ، ومثل هذا المجتمع كفيلا ايضا بشفاء المرضى من ابائهم واتاحة حياة جديدة سليمة لهم . وقد بلغ في قصة « حنظل والعسكري » غاية الروعة وهو يصور احلامه .

هي قصة « حنظل » (2) المدمن على المخدرات وهو يرويها في حوار داخلي ، فتبدأ بوصف خوف من صوت اقدام الجاويش بينما جسده يحترق رغبة في الحقنة المحرمة . ويأتيه الشاويش فيشند خوفه ولكنه يفاجأ به يضع على منكبيه يدا ادمية لا حديدية ولا عسكرية ويطمئنه وهو يأخذه الى الامور ، وعامله الامور - وهو في دهشة بالغة - معاملة انسانية فيجلسه . ويعبر محفوظ عن مأساة الانسان في المجتمع الفاسد على لسان حنظل وهو يقول « يا حضرة الامور انا رجل مسكين ، كثير الخطايا ، ولكن بؤ سي افطع من خطاياي والرحمة عند الله مفضلة على العدل . » ويرد الامور بنبرة جادة ورفيقة بقول يمثل العزم على اصلاح « اطمئن يا حنظل انا عارف انك اخطات كثيرا ولكنك قاسيت اكثر ، وانت ادري بذنوبك ، والشاويش معذور في قسوته عليك ، فالقانون هو القانون ، ولكن جرت امور اوجبت تغيير المعاملة ، تغيير كل شيء ، ونحن كما ان لنا جانب عسكريا فلنا في ذات الوقت جانبنا الانساني » ما هي الامور التي جدت ؟ الا تكون بدء بناء المجتمع الجديد . . وما اروغ ان يبرز الجانب الانساني فيوازن الجانب العسكري ، وما اروغ ان يعترف صاحب السلطة بمقاساة الانسان وهو يستمرض خطاه ، وحنظل قاسى كثيرا « كنت فويا فضعت وبياعا فافلست ، واحببت فتلوعت وادمنت ، ثم تسولت » والمجتمع الجديد يعالج هذه الحالة بنفسية بناءة تريد ان

(1) ص ٩٥

(2) ص ٢١٧

تنفذ الإنسان . وهكذا يطمئنه المأمور ويعدده بأنه سيخرج من المصحفة رجلا جيدا ، وينال حظا احسن معاملة ثم يشفى ويعود الى المأمور الذي يقول له « الان تستطيع ان تدا من جديد . . » ثم يقول له « اطلب ما تشاء يا حظل » فيذكر حظل انه كان يعمل على عربة فاكهة ، فيعطيه المأمور ، دكان فاكهة بالحسينية ، رفوف مزدوجة ، كهرباء لحسن العرض . وهكذا امنت له الدولة العمل ، ويعبر حظل عن خشيته من الصاكر ، فيطمئنه المأمور « لن تجد في الصاكر عدوا واحدا لك ، هم من اليوم والى الابد اصدقاء المخلصون . » وهكذا اعطته الدولة الاطمئنان والامن . ولا ينسى حظل اخوانه الفقراء في خضم اقبال الخير عليه « امثالي من الفقراء كثيرون لعلك يا حضرة المأمور لا تعرفهم » فيقول المأمور « اعرف كل شيء دلنا عليهم وسيكون لكل دكانه وامراته وصدافة الصاكر » وهكذا تعهدت الدولة بمجتمع العدل . ويذكر حظل حبيبته سنية بائنة الكبدية فيعده المأمور بالزواج منها ولتعمل معه في الدكان ببيع الكبدية . وهكذا وفرت له الدولة السكنى والمودة . ويعيش حظل في غمرة فرح ويحتفل بزواجه ولكنه عندما ينفرد بسنية ويعانقها يشعر بضغط يدميها فيتضايق ثم يستيقظ من حلمه على صوت عسكري يهسهه من عنقه ويقسو في معاملته . لقد كان ما رآه حلما .

نلاحظ ان في « قاتل » صور محفوظ الواقع المر بينما صور في حظل والعسكري المستقبل المنشود . والمستقبل المنشود الذي ترى الدولة فيه الافراد بينما يتخطى الفرد تأثها في الواقع المر لا يزال حلما . ترى هل سيتحقق حلم محفوظ ؟ ان دولة المجتمع الاشتراكي تضع هذا الحلم نصب اعينها وبقي ان يتكاتف الجميع لتحقيقه .

وبين الواقع القائم والمستقبل المنشود طريق تتم فيه عملية التغير الاجتماعي الذي لا يحدث فجأة ، ولكن يجب بذل أقصى الجهود ليتسم بسرعة . ولقد اراد نجيب محفوظ ان يعرض ما وصلت اليه عملية التغير الاجتماعي في محاولة لتحديد المكاسب ومعرفة العوقات .

ان اخلاص محفوظ في نقده الذي يرمي الى ازالة العيوب من الصورة الجديدة مع المحافظة على المبدأ الذي تقوم عليه هو خير دافع للثورة الى الامام حتى تحقق بناء المجتمع الجديد .

ذلك هو انسان دنيا الله في مجتمعه . انه يعاني من وجود انحرافات تسيطر على المجتمع . وهو يتطلع الى مستقبل افضل ، ومهما حاول هذا الانسان الانعزال فانه لا يستطيع الانفكاك عن الناس ولذلك فالانعزال ليس حلا لان اثار الانحراف لا بد وان تصله .

ولكن العالم اليوم في القرن العشرين الذي عمت فيه المواصلات ووسائلها السريعة ، اصبحت اجزائه وثيقة اتصال ببعضها حتى بات كانه مجتمع انساني واحد ، لذلك فان اصلاح المجتمع المحلي لا يكفي لانقاذ الانسان لان اي خلل يحدث في اي جزء من العالم يؤثر عليه . ولهذا فان نجيب محفوظ يتجاوز في دراسته لمشاكل انسان دنيا الله مجتمع الوطن الى المجتمع العالمي كله ، ويربط الانسان به . فكاتبنا هو ابن القرن العشرين الذي ينطلق من نظرة انسانية عالمية .

تجلت هذه النظرة في قصة « مندوب فوق العادة » (1) حيث يطالعنا رجل في الستين يزور وزارة الاوقاف في صباح احد الايام في سنوات الحرب الثانية ، ويقدم نفسه باسم « اسماعيل بك الباجوري مستشار بربااسة مجلس الوزراء » . وهو يقول للموظف الجامعي الجديد انه قادم للتفتيش . ويجري بينهما حديث يكشف فيه المندوب فساد الوضع في الوزارة ، ثم يطرح مع الشاب قضايا الحياة ، فيسأله : لم توظفت ؟ ولما لم يجب يقول له - قل لاعيش ، كلنا يريد ان يعيش ، لكن الحياة تجري على غير ما يجب . « تلك هي مشكلة الانسان في مجتمعه وفي العالم . وبعد قليل يقول الباجوري « على المرء ان يتشد الطمأنينة والصفاء ولكن كيف يتأتى هذا ؟ » وهذا هو تساؤل الانسان . وعندما يدعو له الموظف بالصحة يجيبه بما يوضح سر شقاء الانسان . « الصحة ! ما هي الصحة ؟ هي كمال التوازن والتوافق والتعاون في الكائن ، ولكن

هيئات ان تتحقق اذا كانت الصحة العامة مفتلة » . وهنا ربط محفوظ بين الانسان وما يحيط به . ويضرب مثلا بصحة الوزارة الفتلة وهي بالطبع تؤثر على كثيرين ، ثم يتجاوزها الى العالم « العالم ايضا صحته مفتلة ، هنتر ورم خبيث ، والحلفاء ورم اخر ، والاوقاف عندكم لساذا يستحق بعض الاوباش هذه الالوف المؤلفة » . وفي محاوره اخرى يحاول الاشارة الى مبادئ الحل الذي يعيد الصحة الى سلامتها . يسأل الباجوري الشاب عما يريده من الدنيا : ان الانسان يريد النقود والصحة . ولكن كم من النقود يكفي ؟ « حسي الضروريات والكماليات الهامة ، وان اتمكن من تكوين أسرة » ونلاحظ هنا ان هذا كان ضمن مطالب حظل . ويقول الباجوري ملفتا النظر الى من يحيط بالانسان « والاخرون الا ينبغي لهم ذلك ايضا ؟ » بالطبع ، وهذا ما فكر به حظل عندما لفت نظر المأمور الى وجود فقراء كثيرين . ولو تم تأمين ذلك للجميع فعندها « تراح النفوس من الانفعالات الخبيثة . » ولكن هل تنتهي المشكلة ؟ لا لانه يجب تأمين سلامة العالم كله . ولهذا يقول المندوب « لا يكفي هذا كله سيظل هناك هنتر وتشرشل ايضا ، هذه هي العقدة الحجرية . . كلما وجدت حلا لمشكلة عرضت مشكلة اخرى . . كان

الرحلة يجب ان تشمل العالم » « نعم العالم ، راقب اثار الحرب في بلادنا ان كنت في حاجة الى دليل . . فكر في ان تنعم بالجبال في سويسرا فيقال لك انها مهددة باجتياح الجيوش الالمانية . . . » . والغلاء استشرى . فما الحل ؟ بتحديد المراتب « ولكن الدنيا ليست بموظفين فحسب ، هناك تجار ورجال صناعة واصحاب اراض وهناك ايضا الاجانب ثم هنتر وموسوليني وتشرشل واكاذيب لا حصر لها ، وصرخات زنوج تصم الاذان . » واخيرا يتحدث عن العلة الاصلية « ان عينينا انا نكفر في انفسنا ولاشيء غير انفسنا ، الحق ان لي من القدرة ما استطيع به ان ابلغ الصفاء ، علي فقط ان اعتزل العالم وهوومه . . لكني لا استطيع ، لا اريد ، للهموم ايضا انعامها التي يلتقطها القلب ، فاما صحة عامة او لا صحة على الاطلاق هذه هي عقيدتي النهائية ، ولذلك كلفت بالهمة . » وهنا تظهر ايجابية محفوظ وعظمته وهو يحسب الهدف النهائي للانسان . . صحة عامة في العالم اجمع يعيش فيها الناس جميعا بسعادة . ولا يقلل من عظمة هذا الهدف ان المندوب فوق العادة كان مجنوناً فانه نطق بالحكمة « وخذوا الحكمة من افواه المجانين . ولا سبيل للوصول الى هذا الهدف الا بعد القضاء على العيب الاكبر وهو انا نكفر في انفسنا ولاشيء غير انفسنا . ان هذا العيب هو الذي سبب المآسي في التاريخ البشري . كل دولة تفكر في مصالحها دون ان تهتم بمصالح غيرها . . وهكذا كان الاستعباد والاستعمار وبناء الامبراطوريات . كثير من الحكام يفكرون بانفسهم فيسحقون شعوبهم ، وامثلة لا تنتهي . ان النظرة الانسانية الشاملة التي ينطلق منها محفوظ هي التي ستنقذ العالم ، وهناك امل في ان يتبناها كثيرون ، وقد بدأنا اليوم نسمع عن التفات الدول الفتيحة للاهتمام بمشكلة الفقر عند الدول المتخلفة . وهذا دليل على انه لم يجدوا مفرا من الاهتمام بالصحة العامة اذا ارادوا لانفسهم الصحة ، ولكن هذه البارقة لا تطمئن لانها مستندة على نظرة انانية استعمارية . وان الذي سيحل المشكلة قيام دول تتبنى القضية ايمانا منها بالاخوة الانسانية وبان هذا العالم يشكل مجتمعا واحدا ، وبان من رسالة الانسان ان يعمل لاسعاد الانسان .

لقد عاش محفوظ مع انسان دنيا الله في بحثه في المسائل التي يثيرها الكون . وعاش معه في مجتمعه الصغير والكبير . وفي خصال ذلك غاص الى اعماقه ليكشف ادق خلجات نفسه . ولا شك في ان النفس الانسانية عالم رحيب حافل بنوازع كثيرة . فلانسان اشواقه واحلامه ، وللانسان عقده وشهواته ، وللانسان طاقاته . -وله وهو يعيش في مجتمع حافل بالانحرافات مشاكله الكثيرة .

ومحفوظ يعري النفس الانسانية في كل قنصه ، لذلك يكثر فيها الحوار الداخلي . وفي قصص « دنيا الله » نرى الانسان في حبه للحياة وفي خوفه من الموت ، في تطلعه الى الامن والسكينة وفي معاناته

سؤال المخبر له لماذا فعل تلك الفعلة وهو في هذا العمر بغمضة (الله) وهو يرفع اصبعه الى فوق .

كانا بنجيب محفوظ الذي جاب دنيا الله الواسعة وحل الكثير من الغاها يشعر بأنه لا يزال هناك الفاز لم يوفق الانسان لحلها وستبقى مغلقة عليه لا يصل الى علمها . فلعلها عند خالق كل شيء . . عند الله وحده .

هذا يقودنا الى القصة البافية في « دنيا الله » وهي قصة « زعلواي » (1) التي اغرق محفوظ في رموزها .

ففي خضم عيش انسان دنيا الله عمره لا بد وان يصيبه السداء الذي لا دواء له فيطرق يبحث عن الخلاص فماذا يجد ؟

هي « زعلواي » نلتقي بالانسان عندمابدا البحث . « اقتنعت اخيرا بان علي ان اجد الشيخ زعلواي » . واسم زعلواي ورد في اغنية « الدنيا مالها يا زعلواي شغلوا حالها وخلوها ماوي » .

من هو زعلواي ؟ ولماذا يبحث عنه هذا الانسان ؟ انه يقول عن سبب البحث :

« جرت الايام فصادفتني ادواء كثيرة وكنت اجد لكل داء دواء بلا عناء ، وبنفقات في حدود الامكان ، حتى اصابني الداء الذي لا دواء له عند احد ، وسدت في وجهي السبل وطوفني اليأس . . »

وكان قد سال اباه وهو في طفولته عن زعلواي فقال له : « انه ولي صادق من اولياء الله ، وشيال الهوم والمتاعب ، ولولاه لمت غما » .

ويشرح في البحث سائلا نماذج عرفت زعلواي ، و محفوظ يشمر القارئ ليكتشف زعلواي هذا . فلنحاول حصر صفاته لعلنا نصل الى تفسير هذا الرمز .

انه ولي طيب يقول عنه الشيخ قمر الرجل الذي اختار طريق التدبير « كان ذلك تي الزمان الاول ، وما اكاد اذكره اليوم » « وكنا نسراه معجزة » . ويعول عنه بانع كتب قديمة دينية وصوفية « زعلواي يا سلام ، والله زمان ، كان يقيم في هذا الربع عندما كان صالحا للقامة ، وكان يجلس عندي كثيرا فيحدثني عن الايام الخالية ، وانترك بنفحاته . » ولقد تحسر اخرون على ايامه الحلوة بينما نعتة البعض بالدجل وسخروا منه بلا حيلة ونصحوا صاحب الداء ان يعرض نفسه على دكتور . ويقول عنه شيخ الحارة « على كل حال فهو حي لم يموت ، ولكن لا مسكن له ، وهذا هو الخازوق ، ربما صادفته وانت خارج من هنا على غير ميعاد وربما قضيت الايام والشهور بحثا عنه دون جدوى . » « انه رجل يحس العقول ، ولكن احمد ربنا على انه ما زال حيا . » ويقول عنه حسنين الخطاط « كان يا ما كان ، الرجل اللفز ، يقبل عليك حتى يظنوه قريبا ، ويختفي فكانه ما كان ، لكن لا لوم على الاولياء » . « لازمني عهدا حتى خلت اني ارسمه فيما ارسم ولكن اين هو اليوم ؟ » « هو حي بسلا ريب ، وكان له ذوق لا يعلى عليه وبفضله صنعت اجمل لوحاتي » « في وجهه جمال لا يمكن ان ينسى ولكن اين هو ؟ » ويقول عنه الشيخ جاد الملحن المعروف « زارني منذ مدة ، قد يحضر الان ، وقد لا اراه حتى الموت . » « هذا الرجل العجيب كل من يريده ، كان امره سهلا في الزمان القديم عندما كان يقيم في مكان معروف ، اليوم الدنيا تغيرت ، وبعد ان كان يتمتع بمكانة لا يحظى بها الحكام بات البوليس يطارده بتهمة الدجل ، فلم يعد الوصول اليه بالشئ اليسير ، ولكن اصبر وثق بانك ستصل . . » « هو الطرب نفسه ، وصوته عند الكلام جميل جدا ، ما ان تسمعه حتى ترغب في الفناء ، وتهيج اريحة الخلق في صدره . . » ويسأل الانسان « وكيف يشفي من المتاعب التي يعجز عنها البشر ؟ » فيأتيه الجواب « هذا سره ، ولعلك تظفر به عند اللقاء » . ويصل الانسان في بحثه الى ونس الديمهوري الذي يسهر في حانة النجمة . ولا يرضى ونس بالحديث حتى يسكر السائل ثم ينام ويحلم حلما جميلا

من الظلم والشقاء ، في مطلبه الملح للصفاء ، في انحرافاته وفي عودته للصراف . ويصعب علينا ان نتناول هذه النواحي بالحديث التفصيلي لاننا سنجد في كل كلمة احيانا غرضا معيناً ، وسنجد وراء كل كلمة جانباً من العالم الرحيب ، ويكفي ان نشير لحديث « جمعة » في قصة « موعد » مع نفسه بعد ان عرف بقرب نهايته ، والى حديث حسين ضاوي مع نفسه ، وحوارييومي مع نفسه ، ومحسن مع نفسه واحاديث بقية شخوص نجيب مع انفسهم .

وهي قصة « دنيا الله » (1) نرى انسان دنيا الله في المجالات الثلاثة الكون والمجتمع ونفسه . فعم ابراهيم الفراش يعمل في احدى الادارات مع عدد من الموظفين يمثلون قطاعا في المجتمع ، ولكل اسلوبه في الحياة ومشاكله . وفي صباح احد الايام يبدو عم ابراهيم وهو ينظف الادارة وكان شيئاً يعمل في نفسه . وبعد ان يقدم محفوظ شخوص الادارة بطريقة راسمة تحدث المفاجأة عندما يذهب عم ابراهيم لاحضار مرتبات الموظفين ولا يعود . وفي اثناء ذلك نأخذ صورة واضحة عن ذلك المجتمع . ثم ننقل الى عم ابراهيم في ابي قبر حيث فرز مع فتاة في السابعة عشرة اراد ان يشعر معها وهو ابن الخامسة والخمسين بالسعادة . ولم تكن تلك الفتاة نتيجة نشأتها المنحرفة في مجتمع فاسد بالفتاة الطيبة ، ومع ذلك نشيت عم ابراهيم بالسعادة . « ربما حام حوله كدر » من تصرفاتها « ولكنه كان مصمما على السعادة ، السعادة التي يدرك اكثر من غيره كم هي زائلة . » وكان الحب طريقه للسعادة ، وهو الطريق الذي يحدده دومانجيب محفوظ ، فبعد ان عاش مشاعسر الحب رأى ما لم يكن يراه « كان من قبل يسير مطرق الرأس لا يسرى من الدنيا الا التراب والطين ، او لا يرى الا شواعله وهوموه . اما هنا فرأى ما لم يكن يراه . رأى الفجر في طلعه السحرية والقروب في عجائب الوانه التي تنساب من الشفق . ورأى النجوم الساهرة والقمر الساطع والافاق اللامتناهية . رأى ذلك كله بقوة الحسب الخالقة التي عجب كيف يوجد بعد ذلك الندم . ولكن سعادته لم تدم ولم يكن ممكنا لها ان تدمر . فحتى الفتاة ارادت سرقة ما تبقى معه من مال ، وكان الحياة تضن عليه بالايام القليلة البافية معها . لذلك يسرحها مع المال ويسير الى مصره ليقبض عليه في الاسكندرية .

ما الذي دفع عم ابراهيم الى هذه الفعلة . ان يرتكب جريمة سرقة ؟ هل هو الشرقي نفسه . ان القارئ لا يشعر بان عم ابراهيم شرير . انه ابن مجتمعه اخذ منه علله وورث عنه حسناته . ولقد كان في تصرفه كانه فاض يحاسب موظفي الادارة التي يعمل فيها ، ويكفي للدلالة على جانب الانسانية في نفسه انه ابي ان يسرق مال « احمد » الموظف الفقير المستقيم صاحب العيال . ويبلغ محفوظ اعلى الذرى في وصفه لعودة احمد محطما واكتشافه ان عم ابراهيم اتي بمرتبه - ولكن لم يجد غضاضة في اخذ مرتبات الباقين ومنهم المرتشي والانتهازي والفني . كذلك فان عم ابراهيم يتساءل بالحاح وهو يسير الى مصره « لماذا ؟ » سؤال انسان دنيا الله الخالد في بحثه عن القدر وتصاريقه وفي محاولته لحل الالغاز التي تحيط بتعاسة الانسان . وهو يتوجه لخالق البشر في مناجاته . فبعد ان وصل الاسكندرية دخل مسجد ابي العباس « وصلى ركعتين ثم جلس موليا وجهه نحو الجدار . كان يمانى حزنا جليلا ويأسا رائعا . وناجى ربه همسا « لا يمكن ان يرضيك ما حصل لي . ولا ما يحصل في كل مكان . صغيرة وجميلة وشريفة (يقصد الفتاة) ارضيك هذا ؟ وابنائي اين هم (وقد فقدهم جميعا) . . ارضيك هذا ؟ والعالم يطاردني لا لشيء الا لاني احبك فهل يرضيك هذا ؟ واشعر وانا بين الملايين بوحدة قاتلة . . ارضيك هذا ؟ » مسكين انسان دنيا الله كم يقاسي . وان القارئ ليشعر بقرب عم ابراهيم من ربه في تلك المناجاة ، كما ان نجيب محفوظ يرى ان ظروف الانسان في مجتمعه تتفاعل في نفسه لتفرض عليه افعاله فيسير في طريق لا مفر له من السير فيه وذلك هو قدره . لذلك يجيب عم ابراهيم عن

دار الكتاب اللبناني

للطباعة والنشر والتوزيع

٢٢٧٩٨٣

تلخون ٢٥٧٤٧٠

ص.ب. ٣١٧٦

بيروت-لبنان

تتقدم دار الكتاب اللبناني الى المؤسسات الثقافية ووزارات المعارف والمدارس في لبنان وسائر البلدان العربية ، بمطوعاتها الثقافية ومنشوراتها المدرسية في اللغات الثلاث العربية والفرنسية والانكليزية ولجميع مراحل الدراسة .

سلسلة الجديد في القراءة العربية : جزآن لروضة الاطفال وخمسة اجزاء لرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية) .
سلسلة الجديد في الادب العربي : اربعة اجزاء لرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية) وجزآن لرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا) .

سلسلة القواعد العربية الجديدة : اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية) واربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية) .

سلسلة دروس الاشياء والعلوم الجديدة : خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية) .

الجديد في الجغرافيا : اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية) واربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية) وجزآن لمرحلة التعليم الثانوي (البكالوريا) .
سلسلة القواعد العربية : في اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي تأليف ا. ديب (الشهادة الابتدائية) .

سلسلة التاريخ الجديد : ثمانية اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والتكميلي (الشهادة الابتدائية والتكميلية) .
سلسلة الحساب الجديد : سبعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية) .

لرحلة التعليم التكميلي (شهادة الريفه) :

PHYSIQUE, CHIMIE, ALGÈBRE, GEOMETRIE,
GEOMETRY AND ALGEBRA, PHYSICS AND CHEMISTRY.

الجديد في البحث الادبي (لمنهج البكالوريا) : ابن الرومي ، فنه ونفسيته من خلال شعره (لمنهج البكالوريا) .
MON NOUVEAU LIVRE DE GRAMMAIRE.

ثمانية اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي والعالي (الشهادة الابتدائية والتكميلية) .
MON NOUVEAU LIVRE DE LECTURE ET DE

FRANCAIS.

جزآن لمرحلة الروضة - خمسة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي (الشهادة الابتدائية) .

اربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي العالي (الشهادة التكميلية) .
THE NEW DIRECT COURSE IN APPROACH TO
ENGLISH LITERATURE.

احدث سلسلة لتعليم القراءة الانكليزية : جزآن لمرحلة الروضة واربعة اجزاء لمرحلة التعليم الابتدائي .
THE NEW DIRECT ENGLISH GRAMMAR.

احدث سلسلة لتعليم قواعد اللغة الانكليزية في ثلاثة اجزاء .
الدليل العام لشهادة الدروس الابتدائية :
DICTEES CHOISIES.

حساب، انشاء ، اشياء ، تاريخ ، جغرافية ، املاء فرنسي انكليزي

لم يحلم بمثله من قبل (حلمت بانني في حديقة لا حدود لها ، تنتشر في جنباتها الاشجار بوفرة سخية فلا ترى السماء ، الا كالكواكب خلل الاغصان المتعاقبة ويكتنفها جو كالفروب او كالقيم . وكنت مستلقيا فوق هضبة من الياسمين المساقط كالرذاذ ، ورشاش نافورة صافيهنهل على رأسي وجبيني دون انقطاع ، وكنت في غاية من الارتياح والطرب، والهناء ، وجوقة من التفريد والهديل والزقزقة تعزف في اذني ، وثمة توافق عجيب بيني وبين نفسي ، وبيننا وبين الدنيا فكل شيء حيث ينبغي ان يكون بلا تنافر او اساءة او شذوذ ، وليس في الدنيا كلها داع واحد للكلام او الحركة، ونشوة طرب يضح بها الكون ..) ويستيقظ من هذا الحلم الرائع ليعلم ان زعبلاوي كان قد حضر اثناء نومه وعطف عليه فيلاد رأسه بالماء وكان يتفزل بعقد من الياسمين اهداه اليه احد المحبين . واخيرا فان زعبلاوي كما يقول انس (العجيب انه لا تفرسه المفريات ولكن سيسفيك اذا قابلته .. بمجرد ان يشعر بانك تحبه) .

وبعد هذا البحث المصني حدد الانسان موقفه (قلت علي ان انظر وان اروض نفسي على الصبر ، وحسبي اني تأكدت من وجود زعبلاوي) بل ومن عطفه علي مما يشرب استعدادا لمدواتي اذا تم اللقاء . ولكنني كنت اضيق احيانا بطول الانتظار فيساورني اليأس ، واحاول اقتناع نفسي بصرف النظر نهائيا عن التفكير فيه . كم من متعيب في هذه الحياة لا يعرفونه او يعتبرونه خرافة من الخرافات فلم اعذب نفسي به على هذا النحو ؟) ولكنه يعود ليقول (علي ان اجد زعبلاوي) .

والان من هو زعبلاوي هذا ، وما هو الداء الذي لا دواء له ؟
ان زعبلاوي يورث الابداع ويرزق الصفاء . وان الداء الذي لا دواء له يحيل حياة الانسان كلها سقاء . الا يكون ذلك الداء اليأس يخيم على القلب فيفقد الانسان طعم الحياة ! والا يكون زعبلاوي هو الايمان يمسح الاحزان ويورث الابداع ويرزق الصفاء ؟ وطريق الايمان هو الحب الذي محبته الصوفية ، ومفعوله ان يتحقق التوافق بين الانسان ونفسه وبينه وبين الدنيا فكل شيء حيث ينبغي ان يكون بلا تنافر او اساءة او شذوذ .. ان حلم ذلك الانسان يذكرنا بالجنة كما وصفتها الكتب السماوية . فهل اراد محفوظ ان يقول بان الراحة الكبرى لن تكون في هذه الدنيا ، خصوصا وان لم يحقق اللقاء بين الانسان وزعبلاوي ؟ وهل هذه الراحة الكبرى مجرد حلم انساني ؟ ان محفوظ متأكد من وجود زعبلاوي وعسى ان تهدي البشرية الضالة اليه . وهكذا فان على انسان دنيا الله ان يعرف الايمان ليسعد في رحلته . وبعد .. فان من اهم ما يلاحظ على انسان دنيا الله متمثلا في كل شغوص القصص انه ليس شرا مطلقا كما انه ليس خيرا مطلقا ، ان طبيعته انسانية تعرف النزول وتعرف العلو ، تستهي السقوط وتتوق الى الارتفاع . وفي هذا يبلغ محفوظ قمة الواقعية .

والله في قصص محفوظ هو رمز الاعمال الصالحة وهو خالق الانسان الذي يسع علمه كل شيء .

ولقد ابتلي الانسان في الحياة وعليه ان يدلل على انسانيته بالجهاد في سبيل الاصلاح والقضاء على الشر . وطريق الخلاص مفتوح امامه فباستطاعته ان يولد من جديد اذا ضل السبيل وبامكانه ان يتزود بالايمان وعليه الا يفكر في نفسه فحسب بل بجميع اخوته بني الانسان في مختلف بقاع العالم .

لقد عاش محفوظ رحلة الانسان في دنيا الله وكشف الكثير فيها . وباخلاص ووعي ومقدرة فائقة حدد طريق السير واضعا نصب عينيه هدف اسعاد الانسان .

ان مجموعة (دنيا الله) من روايت قصصنا العربي القصيرة وهي تقف على مستوى واحد مع روايت القصص العالمي فهنيئا لقراء العربية ولكل انسان بادب نجيب محفوظ البناء .

احمد صدقي الدجاني

طرابلس الغرب

ماجستير في التاريخ